مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189
المجلد 13، العدد 02، ديسمبر 2022
العنوان: من أجل أنثروبولوجية الانتماء إلى جماعات متعددة في الفايسبوك.
ص.ص 28 - 63.

من أجل أنتروبولوجية الانتماء إلى جماعات متعددة في الفايسبوك

د.لمياء مرتاض نفوسي
جامعة عبد الحميد بن باديس
مستغانم – الجزائر
mortadlamia@gmail.com
lamia.nefoussi@yahoo.com

تاريخ الإرسال:15 / 07/ 2020 ؛ تاريخ القبول: 22/ 11/ 2022

In order to the anthropology of belonging to multiple Facebook groups

Abstract:

Tendensy colonialism dominated over anthropological research in its beginnings, but later on it witnessed a remarkable development. Anthropology is concerned not only with traditional techniques, but also with modern technologies and all the representations that are formed around them. It is necessary to understand the meanings that its users attach to their representations, practices and uses thereof, and to understand the system of interactions that result in it, which will reflect the nature of the culture (or cultures) prevalent in society that will determine the identity of its users.

And considering that anthropology studies thehuman and specifically the social anthropology that studies him in the context of the society or group and the culture to which he belongs, by studying the patterns of his behavior through the institutions in which he lives, by studying the social relations of each social group, in a specific situation,I wanted to find

المؤلف المراسل: دة. لمياء مرتاض نفوسي
mortadlamia@gmail.com

out about the representations of the studentson belonging to multiple groups via Facebook, and show the need to belong to these groups.

Keywords: Group; identity; social relations, anthropology

- **ملخص:**

غلبت النزعة الاستعمارية على البحث الأنتروبولوجي في بداياته، بيد أنه عرف فيما بعد تطورا ملحوظا. ولا تهتم الأنتروبولوجيا بالتقنيات التقليدية فحسب، بل أيضا بالتقنيات الحديثة وكل التمثلات التي تتشكل حولها. يتطلب الأمر إدراك المعاني التي يوليها مستخدموها لتمثلاتهم حولها وممارساتهم واستخداماتهم إياها وإدراك نسق التفاعلات الذي ينجر عنها، مما سيعكس طبيعة الثقافة (أو الثقافات) السائدة في المجتمع والتي ستحدد هوية مستخدميها.

وباعتبار الأنتروبولوجيا تدرس الإنسان وتحديدا الأنتروبولوجيا الاجتماعية التي تدرسه في إطار المجتمع أو الجماعة والثقافة التي ينتمي إليها، بدراسة أنماط سلوكه من خلال المؤسسات التي يعيش فيها، بدراسة العلاقات الاجتماعية الخاصة بكل جماعة اجتماعية، في وضعية معينة، فإنني أردت أن أتعرف على تمثلات الشباب الجامعي لانتمائه لجماعات متعددة عبر الفايسبوك، وتبيين الحاجة إلى الانتماء إلى هذه الجماعات.

المؤلف المراسل: دة. لمياء مرتاض نفوسي
mortadlamia@gmail.com

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, EISSN: 2600-6189
المجلد 13، العدد 02، ديسمبر 2022
العنوان: من أجل أنثروبولوجية الانتماء إلى جماعات متعددة في الفايسبوك.
ص.ص 28 - 63.

الكلمات المفتاحية: الجماعة؛ الهوية؛ العلاقات الاجتماعية؛ الأنتروبولوجيا

- **مقدمة:**

عرف البحث في الأنتروبولوجيا منعرجا مهما ابتداء من ستينات القرن الماضي. وقد لوحظت بعد تسعينات القرن الماضي عودة المفاهيم الأنتروبولوجية الكبرى التي أعيدت صياغتها، تبعا للسياق العالمي الجديد، مما تطلب إعادة تأويلها تبعا لهذا السياق الجديد.

من بين هذه المفاهيم أخص بالذكر مفهوم **الجماعة الاجتماعية**، أو ما هو متعارف عليه في قاموس العالم الرقمي **بالمجموعات**. بيد أنه على المستوى الإبستمولوجي لمفهوم **الجماعة** (group) خاصية عندما يوظف لدراسة ظواهر تنتمي إلى الفضاءات الرقمية؛ فالفرد لا ينتمي إلى جماعة واحدة فحسب، بل يمكنه الانتماء إلى جماعات متعددة، لكل واحدة منها خصوصياتها، مما يخلق هويات متعددة لدى الفرد الواحد.

يترتب على هذا التحديد الإبستمولوجي أنه أعيد النظر في ثنائية: الزمن والمكان. أضف إلى ذلك أن الأفراد أصبحوا ﴿متعددي الوضعيات﴾، عبر تحديد الخصائص المحلية/ الخاصة بالدراسة التي تميز التواجد في المكان، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، تتبع حركية الفاعلين في مختلف تحركاتهم (الفيزيقية/ الملموسة والافتراضية/ المجردة).

كما أنه على المستوى الإبستمولوجي، لا يمكن اليوم لأي تجربة أن تكون بمعزل عما يعيشه الباحث، في فضاءات التواصل الاجتماعي:

المؤلف المراسل: دة. لمياء مرتاض نفوسي
mortadlamia@gmail.com

فهو يدرس ويلاحظ، ولكنه أيضا جزء من هذه التجربة. انجر عن هذا الواقع الجديد تراث إبستمولوجي أعاد النظر في ازدواجية بعض الثنائيات وتحديدا ثنائيتي: الزمن والمكان، واندثار الثنائيات الأخرى التي كانت تمثل منبع وفخر الأنتروبولوجيين الأوائل. فكيف يتمثل الطلبة انتماءهم إلى جماعات متعددة عبر الفايسبوك؟ وما هي الحاجات التي يودون تحقيقها من تعددية الانتماء إلى تلك الجماعات؟

وقد تم الاستناد في هذه الدراسة إلى الفرضيتين الاثنتين المواليتين:

- ينتمي الطالب إلى جماعات متعددة عبر الفايسبوك بغية إشباع حاجات مختلفة
- يؤدي الانتماء إلى جماعات مختلفة إلى بناء هويات متعددة ولكنها ليست متصارعة

وللقيام بهذه الدراسة، تم الاعتماد على جملة من الإجراءات المنهجية والمتمثلة أساسا في تبني المنهج الإتنوغرافي، بتوظيف كل من الملاحظة بالمشاركة والمقابلة.

وبالتالي، ينقسم المقال إلى محورين اثنين:

- تطور البحث في مجال الأنتروبولوجيا
- الإطار الميداني للدراسة الذي قمت فيه من جهة بتحديد الإجراءات المنهجية المتبناة في هذه الدراسة. ومن جهة أخرى، تحليل محتوى المقابلات التي أجريت.

- **تطور البحث في مجال الأنتروبولوجيا:**

المؤلف المراسل: دة. لمياء مرتاض نفوسي
mortadlamia@gmail.com

ظهرت الأنتروبولوجيا لحاجة الغربي إلى التعرف على المجتمعات المختلفة عنه. فانصبت منذ بداياتها الأولى على دراسة المجتمعات البدائية، محاولة اكتشاف جذور الثقافة الإنسانية.

وظهرت إثر ذلك مدارس واتجاهات، يدافع كل واحد منها على افتراضات خاصة بها يقوم بتبنيها تبعا لنموذج تأويلي معين؛ فكانت الدراسات التي تولي أهمية كبيرة للوحدة، أي وحدة الثقافة الإنسانية، وتلك الأخرى التي تولي أهمية كبرى للتنوع، أي تنوع وتعدد الثقافات الإنسانية.

وقد مرت الأنتروبولوجيا وهي تشكل حقلها المعرفي بثورات كونت هذا الحقل وقامت بتطويره. تبدأ **أول مرحلة** ما بين 1915-1920 حين ذهب Malinowskiإلى الميدان.

تمثل هذه المرحلة ثورة أولى في هذا الحقل العلمي لأن الباحث سينزل للميدان بنفسه وسيقوم بمراقبة الجماعة قيد الدراسة لمدة ليست بالقصيرة، بتبنيه تقنية الملاحظة بالمشاركة. كما أن هذه المرحلة تعتبر أول ثورة في هذا التخصص لأن الأنتروبولوجي سيغير علاقته بمن يلاحظ، ﴿كأفراد يجب احترامهم بمحاولة إعادة تشكيل الحياة الاجتماعية بالملاحظة التي تكون أحيانا بالمشاركة﴾.(Yves Winkin,2001: 136)

أما **الثورة الثانية** التي مست حقل الأنتروبولوجيا فهي التي حدثت فيما بين الحربين العالميتين الاثنتين، حيث تساءل الأنتروبولوجيون عن إمكانية القيام بنفس المقاربة، ولكن هذه المرة في مجتمعاتهم.

المؤلف المراسل: دة. لمياء مرتاض نفوسي
mortadlamia@gmail.com

فقاموا هذه المرة بتوجيه أنظارهم إلى مجتمعاتهم ليتساءلوا حول طبيعة الثقافة (والثقافات) السائدة فيه وطبيعة التغيرات التي تحدث داخلها.

أما **الثورة الثالثة** فقد حدثت في ﴿الخمسينات حين تحرر الأنتروبولوجيون من النزعة التي تميل إلى القيام بدراسات حول الفقراء والمشردينوالمهمين عليهم﴾(YvesWinkin, 2001:137)، كفضاءات خاصة.

وسأضيف **ثورة رابعة** مرت بها الأنتروبولوجيا ألا وهي ثورة المعلوماتية واختراع الرقمي وما صاحب هذا الواقع المعلوماتي من تغيرات جذرية في الحياة اليومية، واقع تحددت عن طريقه علاقات جديدة للإنسان مع التقنية ومع تعددية الشاشات التي يتعرض لها، وكيفية تصرفه إزاء هذا الواقع الجديد والمتجدد الذي يغير بشكل مستمر ملامح الحياة اليومية.

التغيرات التي حدثت في العالم من خلال حصول الكثير من الدول على استقلالها، وانتشار وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية ثم الجديدة منها، أثرت بالتأكيد في مسار الدراسات الأنتروبولوجية وعلى إرهاصاتها النظرية ومرتكزاتها المنهجية.

كما أن واقع العالم الرقمي وطبيعة العلاقات التي تترتب عنه، يستدعي أيضا إعادة النظر في الطريقة الإتنوغرافية إذ اعتبرت ﴿العلاقات ﴾وجها بوجه﴾ بين المشاركين كمعيار ذهبي في الأنتروبولوجيا (Carla Estrella Heredia, 2011: 27)عند تشكلها.

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, EISSN: 2600-6189
المجلد 13، العدد 02، ديسمبر 2022
العنوان: من أجل أنثروبولوجية الانتماء إلى جماعات متعددة في الفايسبوك.
ص.ص 28 - 63.

وفضاء ملاحظة الظواهر الرقمية هو فضاء بدون حدود. كما أن الملاحَظين هم من طبيعة أخرى غير تلك التي كان يتسم بها أفراد الجماعات في المجتمعات التقليدية: هم أفراد مختلفو الانتماءات الجغرافية والعرقية والعقائدية؛ يتفاعلون في فضاءات رقمية، حتى بدون أن يلتقوا أو يتعرفوا على بعضهم البعض.

القاسم المشترك بينهم هو كونهم يستخدمون تقنية، وهنا بالأحرى هم يتعاملون مع تكنولوجية حديثة، تمكنهم من استخدامات متعددة لها، مع إتقانهم لطرق استخدامها.

وبدلا من أن يكون التواصل وجها لوجه، فهم يتواصلون بشكل غير مباشر، عن طريق لغة مشفرة، لا يدرك معانيها إلا من ينتمون إلى هذه الفضاءات، مكونين مجتمع واب له خصوصيته وهويته.

وقد كان مصطلح **الغريب** (exotic) المحور الأساسي في الدراسات الأنتروبولوجية: دراسة ظواهر وممارسات سوسيو-ثقافية داخل الأطر غير المألوفة والغريبة عن الثقافة الغربية.

من هذا المنطلق، كان الباحث في الأنتروبولوجيا يضع نفسه خارج الظاهرة، حيث كان غريبا عن أولئك «الغرباء» الذين يمثلون موضوعا لدراسته.

واليوم، يتمثل التحدي الذي ترفعه أنتروبولوجيا الاتصال الرقمي في دراسة ظواهر تحدث في سياق سوسيو-ثقافي ينتمي إلى الفضاءات الرقمية، «داخل الديار»، حيث يصعب وضع مسافة مع

المؤلف المراسل: دة. لمياء مرتاض نفوسي
mortadlamia@gmail.com

الموضوع المدروس، لأن الباحث جد منغرس فيه على كل الأصعدة: فهو يدرس الظواهر الرقمية وهو في ذات الوقت يتعامل مع العالم الرقمي للحصول على المعلومة ولتسجيلها، كما أن هذا الفضاء جزء من حياته الاجتماعية المركبة.

يترتب عن هذا المعرقل معرقل آخر. لا يجب أن ننسى العلاقة التي يقيمها الباحث مع موضوع البحث، مهما حاول إقامة مسافة مع الموضوع؛ فهو مرتبط بالإنترنت بشكل مستمر.

والمسافة التي يتعين على الباحث أخذها مع الموضوع، في أي تخصص علمي كان –وليس في الأنتروبولوجيا فحسب– تمكنه من الابتعاد عن الذاتية والتخلي عن الأحكام المسبقة.

وقد حذر Strauss عام 1961 من أن الأنتروبولوجيا ربما ستصبح علما بدون موضوع، بسبب الاختفاء الجسدي للسكان بأكملهم بعد احتكاك ثقافي، أو بسبب رفض الأنتروبولوجيا من قبل الدول المستقلة حديثا.﴾(Mariza G. S. Peirano, 1998: 105-128)

لذلك، تعين على الباحثين تجاوز ميدان الأنتروبولوجيا الأولي وتطويره حتى تستمر، بتحديد مجالات جديدة يمكن أن تدفع بوتيرة البحث فيها. وهذا ما حدث بالفعل، حيث الموضوع هو نفسه، فقط مكان إجراء الدراسات هو الذي تغير، مع جمهور بل جماهير جديدة يسلط الضوء عليها.

الناصرية

المؤلف المراسل: دة. لمياء مرتاض نفوسي
mortadlamia@gmail.com

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, EISSN: 2600-6189
المجلد 13، العدد 02، ديسمبر 2022
العنوان: من أجل أنثروبولوجية الانتماء إلى جماعات متعددة في الفايسبوك.
ص.ص 28 - 63.

وتخص الأنتروبولوجيا بالدراسة ما يبدو أنه ﴿غير مهم﴾ و ﴿غير مشترك﴾ و﴿غير مدهش﴾، يمس تصرفات عادية لجماعة اجتماعية ما قد تبدو بدون أهمية، تفاصيل عن الحياة اليومية: كمجموعة من التبادلات والنظرات والممارسات ﴿العادية﴾....

يتطلب هذا الوضع تسليط الضوء على مؤشرات دقيقة. والباحث هنا لا يدري بالضبط ما يتعين عليه ملاحظته واعتباره مهما للدراسة.

وتدعو هذه المقاربة الجديدة إلى التفكير في تموضع الباحث في الميدان الذي يتميز بكونه ﴿متحركا﴾ مع الظواهر الاتصالية التي يسفر عنها الاتصال في العوالم الرقمية التي تتسم بكونها في حركية مستمرة وغير متوقعة، حيث يتعين تحديد مساره وإعادة التفكير في مفهومي: الزمن والمكان.

والمسافة التي يتعين أن يأخذها الباحث في ميدان متحرك وغير ثابت، هي في الواقع ليست مسافة فيزيقية فحسب، بل هي خصوصا ﴿مسافة نفسية وعاطفية وفكرية مع الميدان.﴾(Julien Debonneville, 2020)

ولم تعد تمثل ثنائية: المكان والزمن إشكالا للقيام بالدراسة الميدانية، إذ يمكن أن تجرى والباحث جالس في مكتبه، في بيته، في المكتبة، في المقهى...، المهم أنه حيثما وجد يكون مرتبطا بالإنترنت.

تمكنه هذه الجوارية من دخول الميدان والخروج منه متى يشاء. بيد أن ذلك يتطلب منه معرفة دقيقة للميدان، كيف يعمل، كيف يتفاعل

المؤلف المراسل: دة. لمياء مرتاض نفوسي
mortadlamia@gmail.com

ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية

المجلد 13، العدد 02، ديسمبر 2022

ص.ص 28 - 63.

العنوان: من أجل أنثروبولوجية الانتماء إلى جماعات متعددة في الفايسبوك.

المستخدمون، وماهية أنظمة اللغة المترتبة عن الاتصال في الفضاءات الرقمية...

وعند تسليط الضوء على الجماعات التي يخلقها بشكل مستمر فضاء الاتصال الرقمي، سيتمكن الباحث من «إدراك وجهة النظر الخاصة بالتفرد» (Monique Selim, 2012:106-113) بحيث ستنصب أنتروبولوجيا الاتصال الرقمي على «اكتشاف الجزء من العالم الذي نعيش فيه مع الأشخاص الذين يشاركون في بحثنا.» (Sarah Pink, Heather Horst, John Postill, Larissa Hjorth,Tania Lewis, Jo Tacchi, 2016:20)

وترتبط وظيفة الأنتروبولوجي الجديدة بالمعرفة الدقيقة للعالم الافتراضي وما يفرزه من ظواهر متجددة في عالم متحول بشكل مستمر.

- **الإطار الميداني للدراسة:**

للقيام بهذه الدراسة استندت من جهة إلى جملة من الإجراءات المنهجية. ومن جهة أخرى، قمت بتحليل المقابلات التي أجريتها.

- **المنهجية المتبعة:**

عند تطبيق الأنتروبولوجيا على ظواهر الاتصال الرقمي، هنالك دوما أسئلة حول «أصالتها حيث لا يمكن الفصل بين الزمن والمكان عند دراسة مستخدمي العوالم الافتراضية». (Carla Estrella Heredia, 2011: 37). ففي الفضاءات الجديدة للتواصل الرقمي، سيقوم الأنتروبولوجي بدراسة فضاء ثقافي جديد، يتميز بممارسات اجتماعية-ثقافية لمستخدميه.

المؤلف المراسل: دة. لمياء مرتاض نفوسي
mortadlamia@gmail.com

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189
المجلد 13، العدد 02، ديسمبر 2022
العنوان: من أجل أنثروبولوجية الانتماء إلى جماعات متعددة في الفايسبوك.
ص.ص 28 - 63.

يكمن الفرق فقط في أنه فضاء في تشكل وتجدد مستمرين، حيث يكون الباحث طرفا فعالا فيه، مما يصعب مسار القطيعة الإبستمولوجية.

بداية، كانت **للدراسة الاستطلاعية** أهمية قصوى للتعرف على مجتمع البحث ولتحديد أدق للإشكالية والفرضيات. كما مكنت هذه المرحلة من القيام بمقابلات أولية، بحيث أعيدت صياغة بعض الأسئلة في دليل المقابلة.

وتعتبر هذه الدراسة من طبيعة **استكشافية**، بمعنى أن الباحثين «سيقوم بخطواتهم الأولى في الميدان الذي يكتشفونه لأول مرة" (Raymond Quivy, Luc Van Campenhoudt, 1995 : 144)، بالاعتماد على الطريقة الاستقرائية. يعتمد هذا النوع من الدراسات عند تسليط الضوء على دراسات تنعدم فيها المعطيات، أو عندما تكون نادرة.

وقد تم تبني **المنهج الإتنوغرافي** الذي يعتبر منهجا مرنا في المجتمعات التي يتواصل فيها الأفراد رقميا، بحيث يمكن من دراسة المستخدمين حتى وإن كان ليس لهم وجود مادي (كما هو حال الجماعات التي تتشكل عبر مواقع التواصل الاجتماعي) في موقع جغرافي محدد، بملاحظة تصرفاتهم في حياتهم اليومية وهي تحدث، بتسليط الضوء على السياق الذي تتم فيه عملية الاتصال. ويعتمد هذا المنهج على مجموعة من التقنيات، ولكن تعتبر **الملاحظة بالمشاركة** (participating observation) مصدرا قيما لتجميع المعلومات في هذا المنهج، بملاحظة النشاطات الاجتماعية

المؤلف المراسل: دة. لمياء مرتاض نفوسي
mortadlamia@gmail.com

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, EISSN: 2600-6189
المجلد 13، العدد 02، ديسمبر 2022
العنوان: من أجل أنثروبولوجية الانتماء إلى جماعات متعددة في الفايسبوك.
ص.ص 28 - 63.

والثقافية، من خلال خلق جو من الثقة مع المخبرين والاندماج في حياتهم اليومية.

تُطبق تقنية الملاحظة بالمشاركة خصوصا عندما يتعلق الأمر بفهم المعطيات المجمعة، بحيث سيشارك الباحث في حياة الأفراد الذين تنصب عليهم الدراسة، وسيشارك بالتالي انشغالاتهم من الداخل، فيتمكن أكثر من فهم ما يلاحظه، وحتى إنه سيكون قادرا على إدراك منظومة تفكيرهم وآرائهم وأفعالهم، مما سيولد تفاعلا بين من يلاحِظ ومن يلاحَظ، مهمة لا يمكن أن يقوم بها باحث آخر يتواجد خارج هذا الحقل التفاعلي الذي محركه الأساسي هو صفة المشاركة والاندماج في حياة المبحوثين.

فبفضل الملاحظة بالمشاركة، سيتمكن الباحث من الغوص في حياة الجماعة محل الدراسة، فيتأقلم معها ويشارك في حياة أفرادها. من هذا المنطلق، سيحاول فهم كيفية عملها وتنظيمها.

أما التقنية الثانية المستخدمة في المنهج الإتنوغرافي فتتمثل في **المقابلة**(interview)، بهدف تعميق وتدقيق المعطيات التي بحاجة إليها العمل الميداني، من خلال تجميع وجهات نظر المبحوثين عبر منظومة من الخطابات.

والمبحوث في حالة الملاحظة، يتصرف في فضائه الطبيعي الذي تُجمع منه المعلومات مباشرة حيث يقوم بنشاطاته بشكل طبيعي وتلقائي. بينما في المقابلة، لا يمكن الحصول على المعلومات إلا إذا وافق المبحوث البوح

المؤلف المراسل: دة. لمياء مرتاض نفوسي
mortadlamia@gmail.com

بها، تبعا للأسئلة التي ستطرح عليه والتي ستسفر عن مجموعة من الخطابات.

غير أنه تم القيام بمقابلات مع المبحوثين في صيغتين اثنتين. تتمثل الأولى في الشكل المألوف للمقابلة عند مساءلة المبحوث اعتمادا على دليل مقابلة وذلك وجها لوجه، بتدوينها يدويا واستخدام المسجلة لتسجيلها (بالتأكيد بعد أخذ إذن المبحوث).

بيد أنه في هذه الدراسة استحال علي ذلك مع كل المبحوثين، إما لتواجدهم في مكان بعيد أو لرفضهم أن تكون المقابلة وجها لوجه.(أنظر تعليق رقم 1)

وبالتالي، كان من الصعب القيام بمقابلات مع كل أفراد العينة وجها لوجه. وهذا الواقع لا يعتبر في أيامنا عثرة أمام القيام بمقابلات، إذ تمكن وسائل الاتصال الحديثة من تجاوز هذه العراقيل(أنظر التعليق رقم2).

وهكذا، قمت بمجموعة من «المقابلات عن بعد»، والتي يسميها بعضهم حسب تعبير كل من Maubisson وAbaidi ب:

«e-terview»(Hervé Fenneteau, 2015 :27)، حيث يمكن عن طريق هذا الشكل تجاوز هذه الصعوبات. وقد تم إجراء هذا الشكل من المقابلات بالقيام بمقابلات على الخط، عبر شكلGoogle forms.

وبالرغم من استخدام تقنيات أخرى في المنهج الإتنوغرافي (أنظر تعليق رقم 3)، بيد أنه بفعل القيام بالدراسة الميدانية في فترة تفشي فيروس كوفيد 19، لم يرغب الكثيرون في المشاركة في هذه الدراسة. ففضلا عن

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, EISSN: 2600-6189
المجلد 13، العدد 02، ديسمبر 2022
العنوان: من أجل أنثروبولوجية الانتماء إلى جماعات متعددة في الفايسبوك.
ص.ص 28 - 63.

كل من الملاحظة بالمشاركة والمقابلة، تستخدم **الاستمارة** أيضا في عدد لا يستهان به من الدراسات الحديثة.

وتغيير المنهج مسألة مشروعة على المستوى الإبستمولوجي، عندما ﴿تُطبَّق على مواضيع جديدة﴾. (Paul de Bruyne, Jacques Herman, Marc de Schoutheete, 1974: 47)

ففي دراسة أنتروبولوجية للقيم داخل المنظومة التربوية بإشبيليا، تم استخدام الاستمارة كإحدى تقنيات التقصي- فضلا عن الملاحظة المباشرة والملاحظة بالمشاركة والمقابلة- وذلك ﴿لسهولة تطبيقها، وربحا للوقت والمال.﴾ (Araceli Estebaranz García, 1991: 165-185)

وهذا هو التحدي الذي رفعته الأنتروبولوجيا الحديثة بتغيير منهجها ومواضيعها وإعادة النظر في ثنائيتي: الزمن والمكان، والتخلي عن ثنائيات أخرى كانت تمثل منبع وفخر الأنتروبولوجيين الأوائل، كثنائيتي: المطهو/ النيئ والطبيعة/ الثقافة.

وقد تمثل **مجتمع البحث**(population) في الطلبة من تخصصات مختلفة، نظرا لكون الظاهرة تنتمي إلى عالم الاتصال الرقمي الذي يمثل فضاء مفتوحا لدى الشباب للتواصل ولخلق ظواهر اتصالية جديدة بشكل مستمر.

أما عن المعاينة فقد كانت **معاينة غير احتمالية نمطية**؛ فالاعتماد على نوع معاينة غير احتمالية راجع إلى استحالة الحصول على قاعدة مجتمع بحث، إذ يتعلق الأمر بنوع من ﴿المعاينة يكون فيها احتمال انتقاء عنصر من

المؤلف المراسل: دة. لمياء مرتاض نفوسي
mortadlamia@gmail.com

ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية

المجلد 13، العدد 02، ديسمبر 2022

ص.ص 28 - 63.

العنوان: من أجل أنثروبولوجية الانتماء إلى جماعات متعددة في الفايسبوك.

عناصر مجتمع البحث ليصبح ضمن العينة غير معروف.﴾(موريس أنجرس، 2004: 302)

أما كون صنف هذه المعاينة غير الاحتمالية نمطيا، فهذا راجع إلى أن العناصر المختارة المكونة للعينة كنماذج لمجتمع البحث المراد دراسته، هي بمثابة صور نمطية لنفس مجتمع البحث الذي استُخرجت منه.﴿ (موريس أنجرس، 2004: 311)

بمعنى، أنه سيتم اختيار أفراد العينة بطريقة قصدية، إذ ستتوفر فيهم بعض الخصائص بهدف خدمة أهداف البحث.

ويتمثل هؤلاء الأفراد في مجموع الطلبة الذين لديهم حساب على الفايسبوك دون سواهم. وبذلك سيكوّنون نماذج وصورا نمطية لمجتمعنا.

أما عن **العينة** (sample)، فقد تم القيام بتسعة وعشرين مقابلة، لكلا الجنسين، من تخصصات علمية متباينة، وتراوح سنهم بين 19 سنة و38 سنة.

كيف يبرر هذا العدد من المقابلات منهجيا؟

حين يتبين للباحث أنه جمع معطيات كيفية كافية عن الموضوع الذي هو بصدد البحث فيه، فإنه سيتوقف عن استجواب عناصر أخرى من مجتمع البحث.

هذا ما يُسمى في المنهجية **بالتشبع بمصادر المعلومات** (saturationof the data)، يعني ذلك التوقف عن تجميع المعطيات الكيفية لما يدرك الباحث أن المعلومات التي يقوم بتجميعها ليست بالجديدة، ولن تزيد للبحث أي

المؤلف المراسل: دة. لمياء مرتاض نفوسي
mortadlamia@gmail.com

قيمة مضافة (أنظر تعليق رقم 4). والمهم في هذه المرحلة هو التمكن من إدراك الدلالات الحقيقية؛ وهنا تكمن الصعوبة.

- **تحليل المقابلات:**

في هذه الدراسة تم توظيف **التحليل الموضوعاتي** لمحتوى المقابلات التي أجريت، بالقيام بتقليص المعطيات المجمعة.

فيتم تحديد المواضيع والمواضيع الفرعية التي تُستخرج من كل موضوع، بتحليل محتوى الإجابات الخاصة بكل سؤال، سؤالا سؤالا.

- **الانضمام إلى أول مجموعة:**

أجاب معظم المبحوثين بأنهم اندمجوا في أول مجموعة عند قيامهم ببحث، حيث صرح ﴿طالب رقم 8، في فنون العرض، 34 سنة﴾:

دخلت إلى أول مجموعة عن طريق القيام ببحث عبر الفايسبوك."

قام هؤلاء المبحوثون بالانضمام إلى مجموعتهم بدافع اهتمامهم بما تقدمه المجموعة لهم.

فالمعروف أن الجماعات التي تتكون سواء في العالم الملموس أو العالم ﴿الافتراضي﴾ لها أهداف تود تحقيقها، بكونها وحدة اجتماعية تتكون من مجموعة من الأفراد هم في تفاعل بينهم.

وتتميز الجماعة في الأنتروبولوجيا الكلاسيكية ﴿بشكل أساسي ولكن ليس حصريا بفكرة المكان﴾.(Beth Simone Noveck et al., 2021 : 13)

فالجماعة من هذا المنظور متكونة من مجموعة أفراد متواجدين في مكان محدد المعالم.

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, EISSN: 2600-6189
المجلد 13، العدد 02، ديسمبر 2022
العنوان: من أجل أنثروبولوجية الانتماء إلى جماعات متعددة في الفايسبوك.
ص.ص 28 - 63.

هذا عن الخاصية الأولى التي تميز الجماعة من المنظور الكلاسيكي. أما الخاصية الثانية من هذا المنظور فتكمن في عدد أفراد الجماعة؛ فعددهم محصور بفعل تواجدهم في مكان محدد، مشكلين مجتمعا محليا.

أما عن الخاصية الثالثة فتتمثل في كون الأفراد المنتمين إلى الجماعة تربطهم أهداف مشتركة؛ فهم لم ينتموا إلى تلك الجماعة إلا لوجود أهداف مشتركة يتقاسمونها لتتحول إلى أفعال توجههم وتجعلهم يندمجون داخلها، مما يقوي الروابط الاجتماعية بينهم.

بيد أن الجماعات الاجتماعية التي تنشأ وتتطور في عالم الواب، لا حدود ولا مكان لها؛ فهي **جماعات مجردة**(abstract groups) مقابل التحديد الأنتروبولوجي **للجماعات الملموسة**(concrete groups)، بحيث –عكس ما يسميها بعضهم بالجماعات «الافتراضية»- هي في الواقع جماعات «تبرز وتجد قوتها في الفضاء الشمولي للاتصال، حيث تحاول بالمعنى الحرفي أن تعيش.»(Monique Selim, 2012 : 106-113)

هي جماعات موجودة في الواقع وتقيم علاقات اجتماعية بين أعضائها الذين يتميزون بالتفاعل المستمر بينهم، تبعا لطبيعة المواضيع التي تناقش والأهداف المشتركة.

هذه الجماعات لا تتواجد في محيط فيزيقي محدد المعالم، ولكنها تنتمي إلى ما سمته بنيدكت أندرسون «بالجماعات المتخيلة» بمعنى جماعات متكونة من «أفراد لا يعرفون بعضهم في نطاق فضاء فيزيقي، ولكنهم

المؤلف المراسل: دة. لمياء مرتاض نفوسي
mortadlamia@gmail.com

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, EISSN: 2600-6189
المجلد 13، العدد 02، ديسمبر 2022
العنوان: من أجل أنثروبولوجية الانتماء إلى جماعات متعددة في الفايسبوك.
ص.ص 28 - 63.

قادرون على تقاسم روابط الولاء والهوية والانتماء.» (Beth Simone Noveck et al., 2021 : 13)

فعندما نتعامل مع مفهوم الجماعة في الدراسات الأنتروبولوجية التي تنصب على الفضاءات الافتراضية، نصطدم بإشكاليات متعددة، أولها أن مفهوم الجماعة يتغير؛ فنحن في الفضاءات السيبرنتيقية نتعامل مع أعداد كبيرة من مستخدمي هذه التكنولوجيا. هذا من جهة. ومن جهة أخرى، حتى إن عدد الجماعة غير ثابت، إذ هنالك مشاركون يدخلون ويخرجون باستمرار. وبالتالي، الجماعة في هذا السياق الزمني-المكاني هي في بناء مستمر.

هذا من جهة. ومن جهة أخرى، الاتصال المباشر الذي كان أساس تكون الجماعات في عهد ما قبل الإنترنت (كما كانت تحدده المراجع قبل ظهور الفضاءات الرقمية) لم يعد معيارا مناسبا لتكون الجماعات في عهد مواقع التواصل الاجتماعي؛ فالاتصال « Face to face » لم يعد الشكل الوحيد للتواصل بين الأفراد والجماعات والمجتمعات.

في حين، يصرح المبحوثون المتبقون بأنهم انتموا إلى أول مجموعة باقتراح من صديق»، هذا ما صرحت به «طالبة في علوم الإعلام والاتصال، 24 سنة».

باقتراح من الأصدقاء، سينضم الأفراد إلى مجموعة، لوجود حاجات يودون تحقيقها من خلال انضمامهم إلى هذه المجموعة أو تلك.

- **الحاجة المراد تحقيقها عبر الانضمام إلى أول مجموعة:**

المؤلف المراسل: دة. لمياء مرتاض نفوسي
mortadlamia@gmail.com

بالتأكيد أن الانضمام إلى المجموعات هو بهدف تحقيق حاجة معينة.

وقد صرح المبحوثون بأنهم انضموا إلى المجموعة الأولى لهم بدافع الترفيه، حيث تجيب ﴿طالبة رقم 3، في علوم الإعلام والاتصال، 23 سنة﴾ قائلة: قمت بذلك بدافع الترفيه والدردشة.

فالمواقع الاجتماعية هي فضاءات يلجأ إليها المتلقي بغية الترفيه عن النفس والدردشة مع ﴿الأصدقاء﴾، بحيث ربما هنالك أمور لا يمكنه البوح بها وهو وجه لوجه مع الأصدقاء في العالم ﴿الملموس﴾، فيقوم بالتحدث عنها في الفضاء الرقمي بطلاقة وبدون خجل.

وخدمة الدردشة أو التسامر(chating) تمكن من التحدث مع أي شخص في الإنترنت مهما كان موضوع التواصل، بين طرفين اثنين أو أكثر. فللنقاش دور كبير في التواصل بين الأفراد خصوصا في العالم ﴿على الخط﴾ حيث يتناقش حول قضايا عامة وحتى خاصة، بين أفراد يعرفون بعضهم البعض أو لا، بعيدا عن العلاقات الأسرية التي تفرض تراتبية في العلاقات والسلطات، وبالتالي يضحى فضاء الإنترنت فضاء للترويح عن النفس والتصريح عن أمور يصعب وحتى يستحيل مناقشتها داخل الأسرة أو في الفضاء المباشر للمتلقي.

فاستخدام هذه الفضاءات يجعل المتلقي يحس بمتعة وتسلية، خصوصا وأننا نتعامل مع فئة الشباب التي هي بحاجة إلى الترويح عن النفس والخروج من ضائقة الضغوط اليومية.

الناصرية

المؤلف المراسل: دة. لمياء مرتاض نفوسي
mortadlamia@gmail.com

وبالتساوي مع الاتجاه الأول، يجيب المبحوثون المتبقون بأنهم يستخدمون هذه الفضاءات بغية التعلم، والدليل على ذلك أن الكثير منهم منخرطون في مجموعات الدراسة ومجموعات تخص مجالات علمية مختلفة، بغية الاستفادة منها من حيث التحصيل المعرفي.

كما سجلت إجابة لمبحوث يصرح بأنه انتمى إلى مجموعته بغية ﴿القيام بالعمل الخيري والتطوعي﴾، لخدمة الناس والمجتمع... هذا ما أكدته ﴿طالبة رقم 10، في تاريخ الأديان، 40 سنة﴾.

وفي الأخير، سجلت أيضا مبحوثا صرح بأنه انتمى إلى مجموعته بغية ﴿بيع ساعة يد﴾، تبعا لتصريح طالب رقم 8، في فنون العرض، 34 سنة﴾؛ فالحاجة هي التي حركت هؤلاء وأولئك للانضمام إلى جماعتهم الأولى.

وقد لوحظ توسع وتكثف فضاء العلاقات الاجتماعية، وتغير طبيعتها وأشكالها بعد الانتشار الموسع للإنترنت واكتساحه الحياة اليومية، مما ترتب عن ذلك من تغير في العلاقة التي يقيمها الأفراد مع بعضهم البعض ومع التقنية.

وقد نتج عن تطبيقات الإنترنت، تشكل عوالم تخص مستخدمي المواقع الاجتماعية، التي تستخدم فيها ﴿عناصر رمزية وثقافية تنتج عن استخداماتها، بتشكيل وإعادة منح معنى لهذه العوالم". (Carla Estrella Heredia, 2011:26)

المؤلف المراسل: دة. لمياء مرتاض نفوسي
mortadlamia@gmail.com

تنصب الدراسات الحالية في الاتصال على دراسة «اليومي»، لما يلعبه الاتصال في الحراك اليومي، ضمن وتيرة متسارعة ومستمرة. ولم يكن أحد يتوقع هذا الانتشار الموسع والمتسارع لوسائل الإعلام والاتصال الجديدة بعد الثورة المعلوماتية وتجلياتها على المستوى المحلي والعالمي.

ويندمج الأفراد في هذه العوالم، حيث يتواصلون عن طريق: الدردشة وتبادل المعلومات كتابيا أو عبر تبادل مقاطع سمعية أو سمعية-بصرية أو صور، الألعاب على الخط التي تلعب على المباشر...، كممارسات تتشكل يوميا، حيث بدلا من أن تكون مجرد علاقات «افتراضية»، فقد تحولت إلى علاقات فعلية، يتبنى النموذج الثقافي المسير عن طريقها والمحمل بمنظومة من القيم التي ستتحول إلى ممارسات ملموسة تغير شكل الحياة اليومية، عبر النسق الرمزي الذي تسيره والذي تشكل اللغة إن لم نقل اللغات الجديدة المترتبة عنه كثقافة في طور التشكل.

هذه الممارسات لا تحدث استثنائيا؛ فهي تحدث في كل يوم، معيدة تشكيل مفهومي: الزمن والمكان، المحلي والعالمي، الخاص والعام.

وبالتالي، ينظر إلى الاتصال كتفاعل بين مجموعة من الأفراد الذين تجمعهم علاقات اجتماعية، باعتبار الأخيرة تتشكل لدى مستخدمي المواقع الاجتماعية عبر «الشبكات الاجتماعية، من خلال المنصات الافتراضية». (José Luis Molina y Javier Ávila, 2020).

المؤلف المراسل: دة. لمياء مرتاض نفوسي
mortadlamia@gmail.com

وهكذا، رفعت الأنتروبولوجيا تحدي دراسة المجتمعات الحديثة، بتواجد ثقافة ليست جاهزة –كما كان حال دراسة ثقافة المجتمعات التقليدية– بل ثقافة في قيد التشكل، إلى ما لا نهاية.

- **الانضمام إلى مجموعات أخرى:**

أجاب معظم المبحوثين بأنهم انضموا إلى مجموعات أخرى عند قيامهم ببحث.

فهؤلاء لا يتلقون المضامين والأشكال الإعلامية عبر الفضاء الرقمي بشكل سلبي؛ فالمتلقي هو مركب (complex) بحيث يقيم علاقة تصارعية مع المضامين والأشكال الإعلامية والثقافية المختلفة.

أما المبحوثون الآخرون فيجيبون بأنهم انضموا إلى مجموعات أخرى باقتراح من أصدقاء لهم؛ فهم يوجهون اختياراتهم.

أما المبحوثون المتبقون فيصرحون بأنهم انضموا إلى مجموعات أخرى باقتراح من أصدقاء لهم وبقيامهم ببحث عنها في ذات الوقت، حيث تجيب «طالبة رقم 2، في علوم الإعلام والاتصال، 24 سنة» قائلة:

«انضممت إلى الكثير من الجماعات باقتراح من أصدقاء. ولكن أيضا قمت باختيار مجموعات أخرى بنفسي. فأختار منها ما أنا بحاجة إليه، كل مرة حسب حاجتي».

فهنالك علاقة يقيمها المتلقي مع النصوص المعروضة عليه، بحيث يعيد بناء وتشكيل معنى لما يتعرض إليه من رسائل. وهو بذلك، يقيم علاقة

تصارعية مع الرسائل التي يتعرض لها عن طريق فك تشفيرها وإعادة بناء المعنى.

- **إشباع الحاجات عند الانضمام إلى مجموعات أخرى:**

أجاب معظم المبحوثين بأن انتماءهم إلى عدة مجموعات جعلهم يشبعون كل حاجاتهم، حيث تؤكد هذا الاتجاه ﴿طالبة رقم 4، في علوم الإعلام والاتصال، 25 سنة﴾:

﴿كل الحاجات. وأنا في الأصل أبحث عن الترفيه هربا من الدراسة.﴾

في حين، يجيب المبحوثون المتبقون بأنهم لم يشبعوا كل حاجاتهم بالانضمام إلى مجموعات متعددة، كما يؤكد ذلك ﴿طالب رقم 8، في فنون العرض، 34 سنة﴾ قائلا:

﴿إلى حد ما، في غالب الأحيان إشباع حاجة تمضية الوقت﴾.

فللمتلقي الشاب حاجات متنوعة ومتجددة تغذيها الرغبات والتحفيزات. وبفعل التحفيزات، تتحول الحاجات إلى أهداف، إلى خطة عمل.

والتحفيز يكون عبر حاجات يود المتلقي تلبيتها، لتدفعه إلى التفكير والتصرف بشكل معين، في اتجاه ما.

بيد أن حاجات الأفراد أضحت تتجدد بتجدد العروض (shows) في عوالم الاستهلاك بتنوعها، في عصر ﴿الاختيارات المفرطة﴾.

- **تمثل المبحوثين للذين لا ينتمون إلى أي مجموعة:**

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189
المجلد 13، العدد 02، ديسمبر 2022
العنوان: من أجل أنثروبولوجية الانتماء إلى جماعات متعددة في الفايسبوك.
ص.ص 28 - 63.

يتصور معظم المبحوثين بأن الذين لا ينتمون إلى أي مجموعة بأنهم أحرار في قرارهم هذا، حيث هنالك فضاءات أخرى للتعبير.

وهذا ما صرح به ﴿طالب رقم 8، في فنون العرض، 34 سنة﴾ قائلا:

﴿الفيسبوك بصفة خاصة أصبح بلا جدال واقعا افتراضيا للناس بصفة عامة ولا أخص الشباب فقط، جعلوا منه واقعا بديلا لحياتهم الملموسة، يتسوقون فيه و يعبرون عن أعمق مشاعرهم و يبررون حياتهم، وحتى إنهم يكشفون عن أعمق ما فيهم أحيانا، بل و حتى إنهم ابتعدوا عن حياتهم الحقيقية وأهلهم....

المجموعات في الفيسبوك في مجملها وعلى حسب نوعها وتخصصها في الظاهر، هي في الحقيقة غالبا لا تحترم التخصص. مثلا نجد أن مجموعة تهتم بالآثار نجد فيها أخبارا يومية لا علاقة لها بالتخصص، والمجموعات أهم ما يميزها أنها تهتم بالمواضيع الحساسة، السياسية أو العرقية أو الطبيعية التي تحدث... قلت ما يميزها هي التعليقات التي تبعث على احتقار و نشر الفتنة زيادة على المنشور في حد ذاته.﴾

وتؤكد هذا الاتجاه ﴿طالبة رقم 10، في تاريخ الأديان، 40 سنة﴾ قائلة:

هم أقل حملا لهواتفهم﴾ وبالتالي، هم الأقل إدمانا على الإنترنت.

بينما يرى المبحوثون المتبقون بأن الذين لا ينتمون إلى أي مجموعة بأنهم معقدون ولا يحبون التكلم مع الناس الغرباء، يريدون البقاء دائما لوحدهم﴾، هذا ما ذهبت إلى قوله ﴿طالبة رقم 9، علوم الإعلام والاتصال، 25 سنة﴾.

المؤلف المراسل: دة. لمياء مرتاض نفوسي
mortadlamia@gmail.com

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, EISSN: 2600-6189
المجلد 13، العدد 02، ديسمبر 2022
العنوان: من أجل أنثروبولوجية الانتماء إلى جماعات متعددة في الفايسبوك.
ص.ص 28 - 63.

فحسب ممثلي هذا الاتجاه لا يمكن اليوم ﴿إلا أن نتواصل﴾، عبر الفضاءات الرقمية المختلفة حتى لا يحس المرء بأنه منعزل عن بقية العالم وحتى لا ينظر إليه أيضا على أنه ﴿هامشي﴾ لا يمكنه التأقلم مع التكنولوجيا الجديدة.

ولا يمكن بالتالي تصور مجتمع بدون اتصال، حيث يعيش كل فرد فيه بمعزل عن الآخرين.

من هذا المنظور، لا يتم التواصل بين الأفراد والجماعات إلا عبر منظومة من القيم المتبناة المتبادلة التي تحدد نماذج للتصرف والتفاعل مع ﴿الآخر﴾.

فالاتصال هو طريقة يتفق أفرادها على قواعد للتواصل بينهم، وفقا لنموذج ثقافي معين.

- **النقاط المشتركة بين أعضاء المجموعة:**

في السؤال المرتبط عن وجود نقاط مشتركة بين أعضاء المجموعة من عدم وجودها، أجاب معظم المبحوثين بأن لديهم نقاط مشتركة مع أعضاء المجموعات المنتمين إليها، بفعل أنهم ﴿أفراد فاعلون وإيجابيون في المجموعة، وذلك بتقديم اقتراحات واستفساراتهم اليومية حول القضايا الراهنة والمتجددة﴾، تبعا لتصريح ﴿طالب رقم 7، في فنون العرض، 35 سنة﴾.

المؤلف المراسل: دة. لمياء مرتاض نفوسي
mortadlamia@gmail.com

ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية

المجلد 13، العدد 02، ديسمبر 2022

ص.ص 28 - 63.

العنوان: من أجل أنثروبولوجية الانتماء إلى جماعات متعددة في الفايسبوك.

فالانتماء إلى نفس المجموعة لا يكون إلا بمشاركة نفس الاهتمامات ونفس القيم والتي من شأنها أن توجه تصرفات الأفراد نحو مسار معين، إذ تتحدد عن طريقها أدوارهم الاجتماعية.

وقد لاحظنا في الآونة الأخيرة ﴿مشاركة أكثر تكثفا وأكثر استمرارية﴾(Rémy Reiffel, 2014 :143). ولم يعد المتلقي ذلك المستقبل السلبي، بل وتحول حتى إلى مرسل في ذات الوقت عبر مشاركته في البرامج الإذاعية والتلفزيونية لا سيما تلك التي تبث على المباشر، وفي الحوار عبر شبكات التواصل الاجتماعي.

أما المبحوثون المتبقون فيجيبون بأنه ليست لديهم دائما نفس النقاط المشتركة مع أعضاء المجموعة، والمتمثلة في الغالب في ﴿اختلاف وجهات النظر﴾، تبعا لتصريح ﴿طالب رقم 8، في فنون العرض، 34 سنة﴾.

فحتى وإن كانت الاهتمامات مشتركة، فإن وجهات النظر والآراء والاتجاهات قد تكون مختلفة. وهذا طبيعي؛ فحتى وإن كان الأفراد واعين بانتمائهم إلى جماعة ما عبر منظومة من الأهداف المبتغاة، فإنه تحركهم دوافع وحاجات قد تكون مختلفة، تبعا لأولوياتهم واهتماماتهم وميولاتهم.

- **تأثير الفروق في تطور وتمتين العلاقات بين الأعضاء:**

يتصور معظم المبحوثين بأن الاختلافات بين أعضاء الجماعة تكمن بشكل أساسي في ﴿الانتماءات الثقافية والاجتماعية والسياسية

والعقائدية»، هذا ما ذهب إلى قوله «طالب رقم 27، في الطب، 19 سنة».

ولكن الانتماءات الثقافية والسياسية والعقائدية هي بالذات التي تشكل **هوية** (Identity)الأفراد، إذ تمكن الهوية من التعرف على انتمائهم لجماعة أو أخرى، المكوَّنة أساسا من اللغة والثقافة الخاصة بالمجموعة الاجتماعية التي ينتمون إليها، مشتركين بذلك في سمات معينة.

ويغذي هذه العملية ذلك الشعور بالانتماء إلى «جذور» ما، إلى تاريخ ما، إلى ثقافة ما، عبر منظومة من العناصر تمكن الأفراد من التعرف على بعضهم البعض. ويعتمد هذا المصطلح في تعريفه إلى التشابه والاختلاف أيضا: فبانتمائنا إلى جماعة ما، نتعرف على العناصر التي تربطنا وفي ذات الوقت العناصر التي تميزنا عن الجماعات الأخرى.

وقد لوحظت بعد تسعينات القرن الماضي عودة المفاهيم الأنتروبولوجية الكبرى التي أعيدت صياغتها، تبعا للسياق العالمي الجديد، مما تطلب إعادة تأويلها تبعا لهذا السياق الجديد.

ومن بين المواضيع الكبرى التي أعيد استحداثها بجدية موضوع الهوية. تعلق الأمر بمواضيع فرعية انبثقت من الموضوع الرئيسي والتي تولي أهمية بالغة لسيرورة اندماج الأقليات المهاجرة، بإعادة صياغة مفهومي الهوية الجماعية والهوية الفردية المنبثقان أصلا من تحديد Durkheim لكليهما، عبر مقاربة متداخلة التخصصات، حيث أسهم كل تخصص مع الأنتروبولوجيا في بلورتها.

المؤلف المراسل: دة. لمياء مرتاض نفوسي
mortadlamia@gmail.com

والهوية من منظور كل من Stets وBurkeهي ﴿مجموعة المعاني التي تحدد عندما يحتل الشخص دورا معينا في المجتمع، أو عندما يكون عضوا في مجموعة معينة، أو يطالب بخصائص معينة تحدده كشخص فريد. وتميز الهويات الأفراد حسب مواقفهم الكثيرة في المجتمع.﴾ (Peter J.Burke, Jan E.Stets, 2009: 03)

فتخلق ذلك الإحساس المشترك الذي يحس عن طريقه الأفراد أنهم ينتمون إلى نفس الجماعة، إحساس يعززه قاموس الألفاظ المستحدثة في أشكال التواصل المتعددة.

- **التواصل مع أفراد من جنسيات مختلفة:**

يجيب معظم المبحوثين بأنهم يتواصلون مع أفراد من جنسيات أخرى، من أجل ﴿التعرف على اللغة الجديدة والعادات ومشاركة ثقافتهم﴾، تبعا لتصريح ﴿طالبة رقم 6، في علوم الإعلام والاتصال، 24 سنة﴾.

فالتعرف على أفراد آخرين مهم لتعلم وحتى إتقان لغات جديدة. كما يفيد ذلك في التعرف على ما يحدث حولنا.

فالعالم أضحى نسقا كبيرا، متكونا من أنساق فرعية تترابط وتتداخل وتتفاعل بينها، حيث لا يمكن الاستغناء عن أي منها، في عالم مركب. كما تكون هذه العناصر في ذات الوقت متكاملة ومتنافرة وحتى متصارعة، كقوى ومسارات تتداخل وتحطم إحداها الأخرى، داخل تلك الفوضى التي المقصود بها الوصول إلى حالة تنظيم ففوضى فإعادة تنظيم بشكل مستمر.

المؤلف المراسل: دة. لمياء مرتاض نفوسي
mortadlamia@gmail.com

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189
المجلد 13، العدد 02، ديسمبر 2022
العنوان: من أجل أنثروبولوجية الانتماء إلى جماعات متعددة في الفايسبوك.
ص.ص 28 - 63.

أما المبحوثون المتبقون فيجيبون بأنهم لا يتواصلون مع أفراد من جنسيات أخرى، وذلك ﴿لأنني لا أعرف لغتهم ولا ثقافتهم. أنا لا أحب التواصل مع الأجانب﴾، تبعا لتصريح ﴿طالبة رقم 3، في علوم الإعلام والاتصال، 23 سنة﴾.

فهنالك خوف من المجهول، مما لا يعرف، مما يمكن أن يكتشف.

- **الانتماء إلى مجموعات متناقضة:**

عن السؤال المتعلق بالانتماء إلى مجموعات متناقضة، أجاب بداية بعض المبحوثين بأنهم لا ينتمون إلى مجموعات متناقضة، إما بالانتماء إلى مجموعة واحدة فحسب أو الانتماء إلى عدة مجموعات لها نفس الأهداف (مثلا مجموعات دينية أو تخص الطبخ أو الخياطة، إلخ...)

وأما عن الذين ينتمون إلى مجموعات متناقضة فهم يصرحون بأن ذلك لا يمثل إطلاقا مشكلا بالنسبة إليهم، حيث يصرح ﴿طالب رقم 19، في الطب، 19 سنة﴾ قائلا:

﴿لا يمثل ذلك تناقضا، بما أن كل مجموعة تنشأ بهدف معين أبحث فيه عما أنا بحاجة إليه. فهذا لا يمثل مشكلة، بالعكس﴾.

فالانتماء إلى مجموعات مختلفة تتشكل من خلالها هويات معينة لا يدعو للقلق؛ فلكل جماعة أهداف يحاول عن طريقها الأفراد تحقيق رغباتهم المتنوعة والمتجددة بشكل مستمر في الفضاءات الرقمية، في ظل العولمة مع ما تقترحه، بل ومع ما تفرضه من أذواق ونماذج للتصرف والوجود.

المؤلف المراسل: دة. لمياء مرتاض نفوسي
mortadlamia@gmail.com

يتعلق الأمر بجماعات اجتماعية لم تعد محصورة في نطاق مكاني محدد، بل هي جماعات تتواصل في العالم "الافتراضي" وتتسم بكثرة أعضائها وبتوزعها في كل القارات حيث تكون في تشكل مستمر، مما يعقد المسألة ويجعل الباحث يدرك أن المتغيرات كثيرة، مما يصعب فصلها عن بعضها البعض، في عالم يتسم بالتركيب.

- **درجة التواصل بين المجموعات مع تفشي فيروس كورونا:**

أجاب معظم المبحوثين بأن حدة التواصل بين أعضاء المجموعات قد زادت مع تفشي فيروس كورونا، وذلك راجع إلى «أنه أصبح للناس الكثير من الوقت للتقاسم ومشاركة الغير، وتقاسم الهوايات والمعارف. ولقد فطنوا بأهمية التواصل حيث لا يمكن أن يعيشوا بمفردهم. وكورونا فرض علينا البقاء بمعزل عن الآخرين. لذلك، ظهرت أهمية المجموعات في الفايسبوك»، حسب تصريح «طالبة رقم 1، في الطب، 19 سنة».

فميزة الفايسبوك كموقع للتواصل الاجتماعي أنه الأكثر استخداما في العالم (أنظر تعليق رقم5)، يمكن كل مشارك من إنشاء مجموعة ومن الانتماء إلى مجموعات متعددة.

وفي ظل جائحة كورونا، وبغلق الجامعات أبوابها، يجد الطلبة متسعا من الوقت للدردشة وللتواصل وللإرشاد والموعظة وتقديم يد العون، مع هذه الأزمة التي تعتبر نسقية، إذ لم تؤثر في المنظومة الصحية فحسب، بل طالت مستويات أخرى: المستوى الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والسياحي والبيئي وغيرها من المستويات، مما يمنح لها سمة أخرى (علاوة على كونها نسقية) والمتمثلة في تركيبيتها.

وسيشهد التاريخ على هذه الجماعات المجردة التي كانت فعالة في الساحة السياسية والاجتماعية، بغية القيام بتغيرات سياسية واجتماعية. هي جماعات لا يمكن نعتها من اليوم فصاعدا على أنها افتراضية؛ هي جماعات تتفاعل بينها وتؤثر حتى في مسارات الكثير من المجتمعات، وفعالة في المجتمع المدني، وحتى إنها تحرك المجتمع السياسي، مسألة تجسدت بشكل جلي عند تفشي فيروس كورونا .

هذا من جهة. ومن جهة أخرى، أجاب المبحوثون المتبقون بأن التواصل بين الجماعات المنتمين إليها بقي على حاله حتى في ﴿زمن كورونا﴾، نظرا لكون الجميع ليس مرتبطا دوما بالإنترنت، إذ ﴿ليس لدي دائما ربط بالنات﴾، كما صرحت ﴿طالبة رقم 3، في علوم الإعلام والاتصال، 23 سنة﴾.

- **الاستغناء عن الانتماء إلى المجموعات المتعددة:**

يتصور معظم المبحوثين بأنه لا يمكنهم الاستغناء عن الانتماء إلى جماعات متعددة عبر الفايسبوك، وهذا بالفعل ما صرح به ﴿طالب رقم 7، في فنون العرض، 35 سنة﴾ قائلا:

﴿من المهم جدا الانتماء إلى مجموعات افتراضية للتواصل أكثر مع العالم الخارجي، باعتبار أن الإنسان مدني بطبعه﴾.

فقد استعان الإنسان بالتقنية ليغير محيطه، كوسيلة لتغيير الطبيعة بغرض الانتفاع منها، تلبية لحاجاته المتنوعة. وهكذا، تتواجد التقنية على مستوى

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, EISSN: 2600-6189
المجلد 13، العدد 02، ديسمبر 2022
العنوان: من أجل أنثروبولوجية الانتماء إلى جماعات متعددة في الفايسبوك.
ص.ص 28 - 63.

وسيط بين الإنسان والطبيعة. بيد أن حاجات الإنسان مع الثورة المعلوماتية أضحت أكثر تنوعا، ولم يعد يبحث عن تلبية الحاجات الأساسية من ملبس ومأكل ومسكن فحسب، بل أضحى يجري وراء الكماليات. وبالتالي، تغيرت علاقته بالتقنية.

ولا تقوم التقنية بأداء وظيفة معينة من خلال استخداماتها فحسب، بل إن «هويتها مزدوجة (...) إذ لديها أيضا هوية خيالية" (Angélique Montuwy, 2013-2014 :07)، عبر ما يدور من أحداث وتاريخ حول هذه التقنية.

ويترتب عن ذلك خلق نظام تقني-خيالي عن التقنية الذي يتجلى عبر منظومة من «التصورات والتمثلات والتطبيقات والاستخدامات الخاصة بتكنولوجيا الإعلام والاتصال»."(Angélique Montuwy, 2013-2014 :07)

في حين يرى بعض المبحوثين بأنه يمكن الاستغناء عن الانتماء إلى جماعات متعددة، بفعل أنها «ليست ضرورية إلى درجة وجودها من عدمها في الحياة الافتراضية، لأنه هناك عدة طرق ووسائل أخرى تشبع الحاجات والرغبات"، تبعا لتصريح «طالب رقم 29، في فنون العرض، 34 سنة».

فالعالم الرقمي بالرغم مما يقدمه من تسهيلات للإنسان ومن طرق تواصل وتفاعل، بيد أنه ليس الفضاء الوحيد للتفاعل.

المؤلف المراسل: دة. لمياء مرتاض نفوسي
mortadlamia@gmail.com

مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, EISSN: 2600-6189
المجلد 13، العدد 02، ديسمبر 2022
العنوان: من أجل أنثروبولوجية الانتماء إلى جماعات متعددة في الفايسبوك.
ص.ص 28 - 63.

خاتمة:

تبينت من خلال هذه الدراسة أهمية الانتماء إلى جماعات متعددة عبر الفايسبوك، والحاجات النفسية والاجتماعية التي تشبع عن طريقها.

كما تبين أيضا بأنه تخلق عن طريقها هويات متعددة التي لا تكون متصارعة، كما لا تمثل عائقا أمام تمتين العلاقات بين أعضاء المجموعة الواحدة.

ويتعين على الباحث في حقل أنتروبولوجيا الاتصال الرقمي أن يكون على دراية بالمنطلقات النظرية والمنهجية والإبستمولوجية والتقنية المرتبطة بهذا الحقل العلمي، وأن يراعي في هذا السياق خصوصيات المجتمعات المحلية، إذ المفاهيم (بما فيها مفهوم الجماعة) والإجراءات المنهجية هي نفسها، مع تطويرها وتكييفها، تبعا للسياق الجديد الذي يعيشه البحث في هذا الحقل العلمي.

ويعتبر المقال الذي بين أيديكم مجرد محاولة للتقعيد لبعض منطلقات أنتروبولوجية الانتماء إلى جماعات متعددة عبر الفايسبوك التي لا أدعي بأنني قعدت لها في العالم العربي ولا حتى في الجزائر، متيحة الفرصة لباحثين آخرين للتوسع في هذا الموضوع، مع الظواهر الجديدة والمتسارعة التي يعيشها العالم والثقافة التي هي قيد التشكل فيه بشكل مستمر...

المؤلف المراسل: دة. لمياء مرتاض نفوسي
mortadlamia@gmail.com

التعليقات:

- **تعليق رقم 1:**أجريت المقابلات الخاصة بهذه الدراسة في ظرف خاص والمتمثل في مرحلة تفشي فيروس كورونا المستجد، في جويلية 2020

-**تعليق رقم 2:** بيد أنني أفضل المقابلة «الكلاسيكية» التي تتم وجها لوجه والتي أستعين فيها أيضا بالمسجلة، لأن اللقاء الثنائي بين الباحث والمبحوث وجها لوجه يمكن الباحث من تسجيل مجموعة من الملاحظات لتفسر بعض المواقف والتصرفات أثناء إجرائها، كملاحظة الميمات التي يقوم بها المبحوث، وأيضا انفعالاته وحتى سكوته وتغيير نبرات صوته في أماكن معينة، ما لا يمكن القيام به من خلال المقابلة الفردية عن بعد.

- تعليق رقم**3:** كما تستخدم في المنهج الإتنوغرافي كل من الصورة الفوتوغرافية والأرشيف، وأيضا الاستمارة.

- **تعليق رقم 4:** يتم الاكتفاء بتجميع المعطيات في حالة المقابلة بالتوقف عن إجراء مقابلات أخرى، وفي الملاحظة بالتوقف عن القيام بملاحظات أخرى، لما تكون المعطيات في كلتيهما كافية للباحث للشروع في مرحلة لاحقة بتحليلها فتأويلها.

- **تعليق رقم5:** الفايسبوك هو الموقع الاجتماعي الأكثر استخداما في العالم على الأقل إلى غاية نهاية 2022.

المراجع:

- أنجرس موريس، (2004). **منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية**، ترجمة: صحراوي بوزيد وآخرون. الجزائر: دار القصبة

المؤلف المراسل: دة. لمياء مرتاض نفوسي
mortadlamia@gmail.com

- Araceli Estebaranz García. (1991). « **EL cuestionario como instrumento de recogida de datos cualitativos en estudios etnográficos»**. ENSEÑANZA. núm. 8.
- Burke Peter J., Stets Jan E. (2009). **Identity Theory**. New York: Oxford University Press.
- Debonneville Julien. (2020).« **La « sortie de terrain » à l'épreuve de l'éthnographie multi-site »**, Sociologies, http://journals.openedition.org/sociologies/6432, consulted January 12th, 2020
- De Bruyne Paul, Herman Jacques, De Schoutheete Marc. (1974**). Dynamique de la recherche en sciences sociales**. France : PUF.
- Fenneteau Hervé. (2015). L'enquête: **Entretien et questionnaire**. Paris : Dunod.
- Heredia Carla Estrella. (2011).**Antropología de los mundos virtuales**. Eaquador :Universidad Politécnica Salesiana.
- José Luis Molina y Javier Ávila. (2020).**Antropología y redessociales**, https://www.researchgate.net/publication/265592658_Antropologia_y_redes_sociales_Una_introduccion_a_Ucinet6-NetDraw_EgoNet_y_Analisis_comparado_con_SPSS, consulted January 08th.
- Montuwy Angélique. (2013-2014).**Anthropologie des usages du numérique** : Université Rennes 2.
- Noveck Beth Simone, Button James, Gambrell Dane, Paulson Lex, Subramanian Lakshminarayanan. (2021). **Le pouvoir des communautés virtuelles**. New York. THEGOVLAB.
- Peirano Mariza G. S. (1998). «**When anthropology is at home: The Different Contexts of a Single Discipline»**.

المؤلف المراسل: دة. لمياء مرتاض نفوسي
mortadlamia@gmail.com

University of British Columbia. Annual Reviews Anthropology. n° 27.

- Pink Sarah, Horst Heather, Postill John, Hjorth Larissa, Lewis Tania, Tacchi Jo. (2016). **Digital Ethnography**. SAGE: British Library Cataloguing in Publication data.
- Quivy Raymond, Campenhoudt Luc Van. (1995). **Manuel de recherche en sciences sociales**. Paris : Dunod.
- Reiffel Rémy. (2014).**Révolution numérique, révolution culturelle?**. France: Editions Gallimard.
- Selim Monique. (2012). « **La production numérique du réel, perspectives anthropologiques** ».France. Variations. n° 16.
- Winkin Yves. (2001).**Anthropologie de la communication**. Belgique : Editions De Bœck et Editions du Seuil.

المؤلف المراسل: دة. لمياء مرتاض نفوسي
mortadlamia@gmail.com